جامعة الزهراء (عليهاالسلام) للبنات
كلية التربية
قسم نهج البلاغة والتربية الاسلامية

محاضرات في المنطق

م.م حنان عيدان الزبيدي

المحاضرة الخامسة

مقدمة في غايات مبحث الكليات الخمس

يأتي البحث في "الكليات الخمس" كحلقة مترابطة مع مباحث "النسب الأربع" التي تُعنى ببحث العلاقة والنسبة بين المفاهيم الكلية. ويهدف هذا المبحث بصورة جوهرية إلى تحقيق غايتين رئيستين؛ تتجلّى الأولى في استجلاء أنواع الكليات وأقسامها وضبط تصنيفاتها، بينما تنصرف الغاية الثانية إلى التمهيد لصناعة "التعريف"، إذ يُعد فهم هذه الكليات المسلكَ القويم لمعرفة كيفية تعريف الأشياء وماهياتها بحدودها التامة والناقصة. وتنقسم الكليات الخمس في هيكليتها العامة إلى قسمين رئيسين: الذاتي والعرضي.

ماهية الكلي الذاتي وحقيقته

يُعرَّف "الذاتي" في المنطق بأنه المفهوم الذي يُحمل على موضوعه ويُقوِّمه. ويُقصد بالمحمول هنا ما يُسند إلى الموضوع ويُخبر به عنه، كما في قولنا: "زيدٌ إنسان"، حيث "زيد" هو الموضوع، و"إنسان" هو المحمول الذي أسندنا مفهومه إلى زيد. أما معنى "التقويم"؛ فيشير إلى أن قوام الموضوع وتحققه رهنٌ بهذا المحمول، بحيث لا ينفك عنه، ويُعد ركناً من أركان وجوده، فإذا انتفت "الإنسانية" انتفى "زيد"، مما يجعل هذا المحمول ذاتياً للموضوع وقائماً به.

أقسام الكلي الذاتي

يتفرع الكلي الذاتي في استقرائه المنطقي إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

أولاً: الجنس

وهو تمام الحقيقة المشتركة بين جزئيات أو كليات مختلفة في الحقيقة والماهية. ويتضح ذلك عند النظر في الكليات المتباينة؛ كمفهوم "الحيوان" ومفهوم "الإنسان"، فرغم كونهما كليين، إلا أن "الحيوان" يندرج تحته أنواع مختلفة في الحقائق كالطير والسمك والأسد والفرس، ولذا يُعد جنساً. وينقسم الجنس بحسب قربه وبعده من النوع إلى:

١. جنس قريب: وهو أقرب الأجناس إلى النوع، كتعريف الإنسان بأنه "حيوان ناطق"، فالحيوان هنا جنس قريب.

٢. جنس متوسط وبعيد: وهو ما كان أبعد رتبة، كتعريف الإنسان بأنه "جسم نامٍ"، فالجسم النامي جنس يشترك فيه الإنسان والنبات، والجسم المطلق (بما يشمل الجماد) جنس أبعد.

ثانياً: النوع

ويُعرَّف بأنه تمام الحقيقة المشتركة بين جزئيات متفقة في الحقيقة. ويتمثل ذلك في الأفراد الذين يشتركون في ماهية واحدة لا تختلف جوهرياً، كزيد وعمرو وخالد، فهم جزئيات تندرج تحت حقيقة "الإنسانية". وينقسم النوع إلى حقيقي وإضافي (حيث يُلحظ الإنسان بالقياس إلى ما تحته كنوع حقيقي، وبالقياس إلى ما فوقه كنوع إضافي).

ثالثاً: الفصل

وهو جزء الماهية الذي يُقوِّمها ويُميزها عن غيرها من الأنواع المشاركة لها في الجنس. ومثاله مفهوم "الناطق" في تعريف الإنسان، فهو جزء ذاتي من ماهية الإنسان، وبه ينفصل الإنسان عن سائر الحيوانات، ويتحقق قوام الماهية الإنسانية الذي لا تنفك عنه.

ماهية الكلي العرضي

يُعرَّف "العرضي" بأنه الكلي الذي يُحمل على موضوعه ولا يُقوِّمه؛ أي أنه يعرض للموضوع دون أن يكون جزءاً من حقيقته أو ذاتياته، بحيث لو ارتفع هذا العرض لا تنتفي ذات الموضوع. ومثاله قولنا: "الإنسان ضاحك"، فالضحك صفة تعرض للإنسان وليست مقوِّمة لذاته كالحيوانية أو الناطقية.

أقسام الكلي العرضي

ينقسم العرضي إلى قسمين هما:

أولاً: العرض العام

وهو المفهوم الخارج عن الذات الذي يعرض لموضوعه ولغيره، ولا يختص به وحده. ومثاله قولنا: "الإنسان ماشٍ"، فالمشي مفهوم خارج عن ماهية الإنسان (ليس ذاتياً)، وهو في الوقت ذاته لا يختص بالإنسان، بل يشاركه فيه غيره من الحيوانات. وينقسم العرض العام إلى:

١. **عرض لازم:** وهو ما يمتنع انفكاكه عن الموضوع، كزوجية العدد أربعة؛ فالزوجية ليست ذاتية للأربعة (إذ العدد قد يكون فرداً)، ولكنها لازمة لها. وينقسم اللازم إلى:

* **بيِّن:** لا يحتاج إثباته إلى نظر وتفكير، كحرارة النار.

* **غير بيِّن:** يحتاج إلى برهان، كمساواة مجموع زوايا المثلث لقائمتين.

٢. **عرض مفارق:** وهو ما يمكن انفكاكه عن الموضوع.

ثانياً: الخاصة

وهي المفهوم الخارج عن الذات (ليس ذاتياً ولا مقوماً)، ولكنه يختص بموضوعه الذي حُمل عليه ولا يعرض لغيره. ومثاله "الضحك" بالنسبة للإنسان، فهو وصف يختص به النوع الإنساني ويميزه عن غيره، مع كونه عرضاً خارجاً عن حقيقة الماهية الإنسانية.

توطئة: في ماهية التعريف وأقسامه

يستند البحث في مباحث الكلي إلى ركيزة أساسية تتمثل في "التعريف"، الذي يُعد السبيل المنهجي للوصول إلى المجهولات التصورية. وقد اقتضى المنهج العلمي تقسيم التعريف إلى أربعة أقسام رئيسة؛ أولها **الحد التام**، وهو التعريف بالجنس والفصل القريبين، وسمي تاماً لاستيعابه جميع ذاتيات المُعرَّف، كتعريف الإنسان بأنه "حيوان ناطق". وثانيها **الحد الناقص**، وهو التعريف بالجنس البعيد والفصل، كقولنا في الإنسان "جسم ناطق"، وعلة نقصانه عدم اشتماله على تمام الذاتيات، إذ الجسم جنس بعيد يدخل فيه غير الإنسان، فلا يحصل التمييز التام.

أما القسم الثالث فهو **الرسم التام**، ويتحقق بالتعريف بالجنس والخاصة، وسمي رسماً لكونه تعريفاً بالأثر لا بالذات، كتعريف الإنسان بأنه "حيوان ضاحك". ورابعها **الرسم الناقص**، الذي يقتصر على الخاصة وحدها، كقولنا "الإنسان ضاحك".

أهمية الضوابط العلمية للتعريف

لا يستقيم البحث العلمي بترك باب التعريف مشرعاً دون ضوابط حاكمة وشروط مانعة؛ إذ لو جاز لكل باحث أن يُعرف المفاهيم وفق مراداته الشخصية، لاستحال الاتفاق المعرفي ولتعذر التواصل العلمي بين العقلاء. وعليه، فقد وضع المناطقة شروطاً دقيقة لضبط عملية التعريف، نوردها فيما يلي:

الشرط الأول: الجامعية والمانعية (الاطراد والإنعكاس)

يشترط في التعريف المنطقي أن يكون جامعاً مانعاً. ويقصد بكونه **جامعاً**: أن يحيط بجميع أفراد المُعرَّف ومصاديقه، فلا يشذ عنه فرد واحد. ومثاله تعريف الإنسان بأنه "حيوان ناطق"، فهذا الحد يشمل كل فرد من أفراد النوع الإنساني. وأما كونه **مانعاً**: فمؤداه أن يحول دون دخول غير أفراد المُعرَّف (الأغيار) في دائرة التعريف.

ويتفرع على هذا الشرط وجوب الاحتراز عن ثلاثة أمور مخلة به:

١. **التعريف بالأعم:** فلا يصح التعريف بما هو أعم من المُعرَّف؛ لأنه يخل بشرط المانعية. ومثاله تعريف الإنسان بأنه "حيوان ماشٍ"؛ إذ إن صفة المشي، وإن صدقت على الإنسان، فإنها تُدخل في التعريف أنواعاً أخرى كالفرس والأسد، فلا يحصل التمييز المطلوب.

٢. **التعريف بالأخص:** وهو باطل لانتفاء شرط الجامعية. ومثاله تعريف الإنسان بأنه "حيوان شاعر"؛ فهذا التعريف قاصر لأنه يختص بشريحة الشعراء فقط، ويخرج بقية أفراد النوع الإنساني الذين لا يتصفون بالشعر، مع تحقق الإنسانية فيهم.

٣. **التعريف بالمباين:** وهو التعريف بما لا يصدق على المُعرَّف أصلاً، كتعريف الإنسان بأنه "حجر"، وهو باطل بداهةً لانعدام العلاقة بينهما.

الشرط الثاني: وضوح المُعرِّف وجلاؤه

يجب أن يكون اللفظ المُعرِّف (بالكسر) أوضح وأظهر من المُعرَّف (بالفتح)؛ إذ الغاية من التعريف هي الإيضاح وكشف المجهول. ويترتب على هذا الشرط:

بطلان التعريف بالأخفى: فلا يسوغ تعريف الشيء بما هو أكثر خفاءً منه أو مساوٍ له في الخفاء. ومثال ذلك تعريف "النور" بأنه "قوة تشبه الوجود"؛ إذ الوجود بذاته مفهوم شائك يحتاج إلى تعريف، فكيف يُجعل مُعرِّفاً للنور؟ ومثله تعريف الأب بأنه "والد الابن"؛ إذ معرفة الأبوة متوقفة على معرفة البنوة، والعكس صحيح، فلا يحصل بذلك وضوح زائد.

الشرط الثالث: التنزه عن الدور

يُشترط في التعريف السلامة من "الدور"، وهو توقف معرفة الشيء على نفسه، وهو محال عقلاً؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون الشيء سابقاً ومسبوقاً في آن واحد. ومثاله البارز: تعريف الشمس بأنها "كوكب يطلع في النهار"، وتعريف النهار بأنه "زمان تطلع فيه الشمس". ففي هذا السياق، تتوقف معرفة الشمس على معرفة النهار، وتتوقف معرفة النهار على معرفة الشمس، فتؤول النتيجة إلى تعريف الشمس بالشمس، وهو دور باطل لا يفيد علماً.

الشرط الرابع: وضوح الألفاظ وفصاحتها

يلزم في صياغة التعريف اعتماد ألفاظ واضحة، جلية المعنى، بعيدة عن الإبهام والغموض؛ إذ استخدام الألفاظ المعقدة أو غير المألوفة (الغريبة) في اللغة العربية ينافي الغرض الأساسي من التعريف وهو البيان والإيضاح.